إنجيل يوحنا: رحلة الإيمان

« مَجِّد اسمك »

(١٢: ٩-٥٠)

تأليف: بروس مكلارتي

هناك قصة شعبية قديمة عن ثلاثة أشجار وقد رويت بلغات كثيرة. وكانت الأشجار الثلاث تنمو على قمة الجبل، وكانت كل منها تحلم ماذا تصبح عندما تكبر. حلمت الشجرة الأولى بالماس والياقوت واشتهت ان تكون في يوم ما صندوق كبير لحفظ الكنوز. وحلمت الشجرة الثانية بالسفر والفرح، واشتهت ان تكون في يوم ما سفينة ضخمة تعبر البحار وتحمل ملوكا عظام على متنها. لم تفكر الشجرة الثالثة بان تترك قمة الجبل. بل كانت أمنيتها ان تقف شامخة حيث كانت، وتدل الناس إلى الله العلي.

ومرت السنين، ونمت الأشجار الثلاث طولاً وصلابة. وفي أحد الأيام صعد ثلاثة من الحطابين إلى الجبل بحثاً عن الأخشاب. فتقدم أحدهم من الشجرة الأولى وقال: « هذا الخشب ما كنت احتاج إليه »، فقطعها. وتقدم الآخر إلى الشجرة الثانية وقال الشيء نفسه، ثم قطعها أيضاً. غمغم الحطاب الثالث بان أي شجرة كبيرة كانت تفي بالغرض، فقطع الشجرة الباقية.

عندما صنع صندوق خشبي من الشجرة الأولى ظنت بان حلمها لتكون صندوق كنز قريب التحقيق، ولكنها لاحظت سريعاً بان ذلك كان مجرد مذود خشن لعلف المواشي. رأت الشجرة الثانية ان أمنياتها لتكون سفينة عظيمة تلاشت عندما لاحظت بانه قد صُنع منها مركبا صغيرا لا يبحر بأكثر من بحيرة صغيرة. كانت للشجرة الثالثة أسوأ الخبرات. فقد نُشرت إلى ألواح ووضعت مع ألواح أخرى ولم تُذكر بعد ذلك.

وبعد زمن، مرت الشجرات الثلاثة بخبرات مختلفة. فقد أُستخدمت الصندوق المصنوع من الشجرة الاولى في إحدى الليالي كسرير من قبل زوجين قرويين ولد لهما طفلا لم يجدا مكاناً مع طفلهما المولود الجديد في فندق. فوضعا القش الطري في الصندوق واستخدماه كسرير للطفل. وبينما كان الطفل المولود الجديد في المذود، تفطنت الشجرة بانها كانت تحمل أعظم كنز في العالم. وحملت الشجرة التي صنع منها المركب في إحدى الليالي مجموعة من الرجال خلال عاصفة على البحيرة. وإذا كان المركب خائفاً من أن يفقد كل من كان به، تعجب عندما استيقظ أحد الركاب من النوم وأمر العاصفة قائلاً: « اسكت. ابكم! » وعندما هدأت البحيرة حالاً، أدركت الشجرة بانها كانت تحمل ملك الملوك. أُخذت الشجرة الثالثة في أحد الأيام من بين كومة اخشاب ووضعت على ظهر إنسان مدمى، كان يقتاد في الشوارع ويحيط به جمهور غاضب. عُلق هذا الإنسان عليها في خارج المدينة، وتُرك ليموت. وعندما استمر هذا، حزن فؤاد الشجرة الثالثة لأنها لم تستطع ان تفكر في شيء أكثر إثماً مما كان يحدث لهذا الإنسان. كل ما أرادت ان تفعل هو ان تدل الناس باتجاه الله. وبعد ثلاثة أيام، غير العالم: لقد قام هذا الإنسان من الموت، فعرفت الشجرة الثالثة بانها كلما ينظر إليها الناس منذ ذلك الوقت يبداءوا يفكرون بالله!

ثلاث أشجار بأمنيات وأحلام مختلفة أتت كل منها بمجد لله.

« مجد » كما قد رأيناه هو فكرة رئيسية هامة في إنجيل يوحنا. لقد التقينا به في وقت مبكر من هذا الإنجيل حيث كتب يوحنا: « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً » (١: ١٤). ورد الفعل « مَجّد » والاسم « مَجْد » مرات كثيرة. ومن الواضح إذنَ ان إنجيل يوحنا يركز على المجد!

مجد الله ويسوع

كما يظهر هذا في نص درسنا، نجد أورشليم تضج بمناسبة عيد الفصح وكانت الجموع تتوقع قدوم يسوع. كيف يأتي يسوع؟ وماذا يفعل؟ هل سيكون هذا الوقت الذي يعلن فيه بانه المسيا المنتظر ويصبح ملك إسرائيل؟ هكذا كان الجميع يتحدثون عن يسوع.

عندما حل يوم دخول يسوع إلى أورشليم، خرج جمع غفير للقائه عندما كان يقترب من المدينة. لقد استقبلوه استقبال الملك إذ كانوا يلوحون بسعوف النخل ويصرخون: « أوصنا! مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل » (١٢: ١٣). امتطى يسوع جحشاً {عند دخوله إلى أورشليم} تتميماً لنبوة زكريا ٩: ٩. لقد كتب يوحنا بان تلاميذ يسوع كانوا مرتبكين من المشهد كله ولم يفهموا أهمية ما كان يحدث إلا « لما تَمَجّدَ يسوع » (١٢: ١٦). نرى مجداً آخر أظهره كل جزء صغير من حياة يسوع ولكنه كان أكثر لمعاناً عند الصليب. بينما ينسب العالم المجد إلى القوة والغنى، إلا ان مجد الله يظهر بأكثر وضوح في محبة وتواضع وتضحية الصليب.

ثم سأل بعض اليونانيون فيلبس قائلين: « يا سيد نريد أن نرى يسوع » (١٢: ٢١). فذهب فيلبس إلى أندراوس وأتى كلاهما إلى يسوع وأخبراه بما قاله اليونانيون، فأجابهما يسوع قائلاً: « قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان » ١٢: ٢٣. ذكر الـ« مجد » هنا أيضاً يشير إلى الصليب. وقد صار هذا واضحا في الآيات التالية عندما وصف يسوع كيف انه لا بد ان تسقط حبة الحبطة في الأرض وتموت قبل ان تأتي بثمر. بينما كان يسوع يتحدث عن صلبه، دعى تلاميذه أن يتبعوا مثاله في التكريس والتضحية. قال بانهم إذا فعلوا ذلك سيكرمهم الآب.

يقود الحديث الذي جرى في ما تقدم من الآيات إلى صلاة يسوع ابتداءاً من الآية ٢٨: « أيها الآب مجد اسمك ». وعند هذه اللحظة جاء صوت من السماء مستجيباً: « مجّدتُ وأُمجّد أيضاً » (١٢: ٢٨). ظن بعض من الجمع بانهم قَد سمعوا رعداً. وادعى آخرون بانهم سمعوا صوت ملاك. فقال لهم يسوع بان ذلك الصوت كان لأجلهم. لقد تكلم الآب حقاً. كان المجد الذي أشار إليه هو أساساً الصليب. مَجّدَ يسوع الآب بكل ما قاله وما عمله في حياته، ولكن المجد الأعظم كان سيظهر للعيان خلال أيام قليلة فقط، عندما صُلب يسوع وأُقيم من الأموات. لقد أوضح يسوع بانَه كان يشير إلى الصليب إذ قال: « وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليّ الجميع » (١٢: ٣٢). قال يوحنا بان يسوع « قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت » (١٢: ٣٣).

ثم سأل الناس يسوع سؤالاً عما سمعوا من الناموس (١٢: ٣٤). قبل مئات السنين {من ذلك الوقت} كان إسرائيليون قد سمعوا صوت الله بآذانهم عند جبل سيناء.[1] وشاهدوا قليل من مجد الله في الرعد والبرق وصوت البوق وعمود الدخان. الآن وبعد كل هذه السنين بدأوا يرون مجد الله أكثر عندما كانوا يشاهدون يسوع ويستمعوا إليه. ما لم يدركوه حينذاك هو بان يسوع كان سيظهر قريباً مجداً أعظم في صلبه وقيامته مما شُهد من قبل!

بعد ما دخل أورشليم واستقبلوه استقبال الملك، وتكلم بما ورد في هذا الأصحاح، انسحب يسوع من الجمع واخفى نفسه. اضطرب يسوع بسبب اخفاق الناس في ان يؤمنوا إذ قال لهم الحق وأظهر هويته وسلطانه بالآيات التي أجراها. رأى يوحنا افتقار الناس إلى الإيمان كشيء كان أشعياء النبي قد تنبأ به: « من صدق

[1] أنظر الأصحاح ٢٠ من سفر الخروج؛ وتثنية ٥: ٢٢.

خبرنا ولم استعلن ذراع الرب؟ » (إشعياء ٥٣: ١)؛ « غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه واطمس عينيه لئلا يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفي » (إشعياء ٦: ١٠). كتب يوحنا: « قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلم عنه » (١٢: ٤١). تشير كلمة « مجد » للمرة الرابعة في هذا الأصحاح إلى موت يسوع ودفنه وقيامته.

نحن ومجد الله

عند النظر في كل ما قاله يسوع عن نفسه في هذا الأصحاح وعن مجد الله، نجد رسالة واضحة وموجهة لنا مباشرة والكيفية التي تؤثر بها مسألة الـ « مجد » هذه في حياتنا. قال يسوع لتلاميذه: « قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان » (١٢: ٢٣). وشرح لهم ضرورة موته (١٢: ٢٤) ثم قال:

> من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية. إن كان أحد يخدمني فليتبعني. وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي. وإن كان أحد يخدمني يكرمه الآب (١٢: ٢٥ و٢٦).

الفكرة في هذا القسم هي ان المسيح كان على وشك ان يمجد. ولكن كان ذلك عكس ما يتوقعه أحد من معنى، كان من الضروري ان يموت لكي يتمجد. هكذا أيضاً يقبل أتباع يسوع الحياة الأبدية ويظهروا مجد الله يسمحوا لكبرياءهم وأنانيتهم ومحبتهم لهذا العالم ان تموت لأجل طاعة الله.

هناك تباين حاد بين ما دعى يسوع أتباعه ليفعلوا في ١٢: ٢٥ و٢٦ وبين ما فعله الذين آمنوا في الخفاء في وقت لاحق من هذا الأصحاح:

> ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً غير انهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع. لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله (١٢: ٤٢ و٤٣).

أشار يوحنا إلى ان المسيحيين الجبناء أخفوا إيمانهم « لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله » يظهر مجد الناس في الكبرياء والسلطة ووقاية الذات والأهتمام بالذات فقط؛ ويظهر مجد الله أكثر في التواضع والتضحية ونكران الذات.

كتب يوحنا في وقت لاحق من هذا الإنجيل نبوءة غير عادية تنبأ بها يسوع لبطرس:

> الحق الحق أقول لك لما كنت أكثر حداثة تمنطق ذاتك وتمشي حيث تشاء. ولكن متى شخت فإنك تمد يدك وآخر يمنطقك ويحملك حيث لا تشاء (٢١: ١٨).

وفسر يوحنا ذلك إذ كتب: « قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يمجد الله بها ... » (٢١: ١٩). نجد مرة أخرى المجد والتضحية مرتبطان معاً في تعاليم الإنجيل!

ينبغي على المسيحيين ان يعيشوا لأجل مجد الله. يجب ان يعكس كل شيء فينا مجد الله (١ كور ١٠: ٣١). لقد حاول كثيرون على مر السنين ان يمجدوا الله ببناء هياكل عظيمة أو ممالك باسمه. واما في إنجيل يوحنا فقد أعلن يسوع مراراً وتكراراً بان مجد الله يظهر في الأعمال البسيطة المتواضعة. يظهر مجد الله أكثر وضوحا اليوم في أعمال التضحية التي قد لا ينتبه إليها العالم:

> عناية واهتمام الأم بطفلها تظهر مجد الله.
>
> العناية بالوالدين المتقدمان في العمر أو الجار تظهر مجد الله.
>
> الاستماع إلى شخص لديه مشكلة وتعزيته يظهران مجد الله.
>
> الاخلاص واللطف في الزواج يظهر مجد الله.
>
> مساعدة الشخص الذي هو في حاجة تظهر مجد الله.

في أحد الايام تحدث معلم بالمدرسة التي كنت فيها عن المبشرين. قال: « أعظم تبشير اليوم يقوم به أناس لم تسمع عنهم قط في أماكن لم تذهب إليها قط ». أظن بان تعليقه القوي هذا كان يشبه ما يعلمه يسوع في الأصحاح الثاني عشر من إنجيل يوحنا!

تمت العناية بالشاعر الاسترالي ڤيكتور

دالي بالمستشفى خلال أيامه الأخيرة. من بين الكلمات الأخيرة التي قالها قبل موته هي انه شكر الممرضين والممرضات بسبب لطفهم. فقالوا له: « لا تشكرنا، بل أشكر نعمة الله ». استجاب دالي وقال: « ولكن ألستم نعمة الله؟ » أظن بانه كان على صواب. هكذا بالمثل قد شاهدنا وقبلنا مجد الله، والآن يجب ان نكون مجده. في خدمة التضحية المتواضعة يجب ان نكون مجد الله المرئي في عالمنا هذا.

الخلاصة

لقد سُمح للأشجار الثلاث ان تحقق أحلامها بما تفعله لله. ولكن لم يحدث ذلك إلا بعد ما قُطّعت ونُشرت إلى قطع وتُركت في مهب الريح، حينئذ أمكن استخدامها لمجد الله. قال يسوع بان ذلك ما حدث في حياته – وحياتنا أيضاً! فلنصلي كل يوم الصلاة البسيطة:التالية « لتتمجد في حياتنا اليوم يا رب ».

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧